

. محمد محمد فائد قدم البحث في المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي، والبحث كاملا مرفق بهذه الصفحة ملخص البحث
ما خلق الله سبحانه وتعالى الكون إلا لحكمة كما يقول في سورة القمر "

إننا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر"

ولم يأت القرآن مخالفا للسنة الكونية، بل كل السنة التشريعية توافق قوانين السنة الكونية. ولم ينزل القرآن ليهلك الناس وإنما رحمة من الله كما يقول العزيز جل جلاله في سورة طه "طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى" فلا يمكن أن يشقى الناس بالقرآن، ولبيان ذلك ارتأينا في بحثنا هذا أن نتناول موضوع الأطعمة في القرآن الكريم، واخترنا لذلك مادة غذائية جعلها الله غذاء ودواء ووقى بها أجسامنا من الأمراض العديدة. فلا يجب أن نفعل مثل بنو إسرائيل مع المن والسلوى، فنستبدل هذه المادة بمواد أخرى فنشقى في أبداننا بالأمراض وفي أموالنا بشراء الأدوية الكيماوية لعلاجها. سنتكلم بعون الله عن زيت الزيتون وعن هذه المشجرة المباركة ونقف عند المزايا التي تبينت علميا في ميدان التغذية والطب الوقائي. لكن تبقى هناك حقائق لن تقدر العلوم على تبينها، فهل ننظر العلوم أم نرجح كلمات القرآن ؟ لا بد للحديث عن الزيتون من الرجوع إلى الآية الكريمة التي تعرف شجرة

الزيتون تعريفًا علميًا إيجازيًا. حيث يقول الحليل في سورة المؤمنون:
جُرَّةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبَّغٌ لِّلَّ لَّيْلِينَ (20)، إذا تأملنا هذه الآية الكريمة من حيث كلماتها والفاظها، نجد سهولة التعبير ومفهومة المعنى، ولما تكاد تخفي شيئا وراء كلماتها من الناحية اللغوية، فكل أطرافها معهودة، وكل الفاظها مألوفة.

وجاءت هذه الآية الكريمة في سورة المؤمنون بعد ذكر الأشجار الأخرى كالنخيل والماعز حيث يقول البارئ سبحانه :
بِهِ جَنَاتٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (19).

وذكر النخيل والماعز في هذه الآية يخص الأكل، لأن المصيفة جاءت بكلمة تأكلون، وفي آية أخرى من سورة النحل نجد نفس الثمار لكنها ذكرت للشراب حيث يقول سبحانه:
وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْمَاعِزِ تَاتُخْذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67).

وحسب ما جاء في الآية الكريمة التي تخص الزيتون فإن الزيت يصنف مع الأكل، لقوله تعالى للأكلين، والمصيفة واضحة باللفظ.
ومن عظمة القرآن الكريم، اليسر في الفهم كما قال سبحانه في سورة القمر:
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (17)، وقد يفهم كل إنسان هذه الآية على قدر مستواه من الإدراك، فقد يفهمها العالم باللغة على مستواه من البلاغة، أو قد يفهمها العالم الكوني على مستواه من العلم، فيظل كلام الله سبحانه وتعالى يسير العصور بتقدمها وبتأخرها العلمية المختلفة، لكن رغم كل هذه المستويات، لا نجد تفسيراً نهائياً لكل الحقائق العلمية، لتظل معجزة القرآن قائمة وثابتة، بينما تظل الحقائق العلمية نسبية ومتغيرة.

ونفهم بقدر علمنا أن المشجرة التي جاءت في الآية هي شجرة الزيتون، كما ثبت عند علماء التفسير بالإجماع. وتبين الآية الكريمة منشأ أو أصل هذه الشجرة التي تخرج من طور سيناء، وهو الجبل الذي كلم الله عليه سيدنا موسى عليه السلام. وهذه النقطة الدقيقة في بيان أصل شجرة الزيتون ثابت في العلوم الأحيائية، وهو أن أصل الأنواع والأصناف في عالم النبات ينحدر من المنطقة الممتدة من فلسطين إلى شمال إيران. وأغلب الأنواع وجد في المنطقة الممتدة حالياً بين فلسطين والأردن ولبنان وسوريا. وهي المنطقة التي أخذ منها المسلمون الأغراس إلى المغرب العربي والأندلس. وكلمة شجرة في الآية أتت نكرة تامة، بمعنى أي شجرة إذا اقتصر التعبير على ذكرها دون نعتها، لكنها معرفة تعريفًا علميًا، من حيث أن الأصل لهذه الشجرة هو جبل طور سيناء، وهو الموقع الأصلي لعدة أشجار أخرى أيضاً، فقد تكون شجرة أخرى لها نفس الأصل كشجرة التين مثلاً، لكن الصفة الثابتة، وهي الإنبات بالدهن، يجعل المعنى يقتصر على الأشجار الزيتية، ومنها كذلك اللوز والجوز وما إلى ذلك، لكن هذه الأشجار تعطي الدهن دون المصبغ، فكانت كلمة المصبغ التي جاءت في الآية هي التي تعرف شجرة الزيتون تعريفًا دقيقاً، لأنها هي الشجرة الوحيدة التي تعطي الدهن والمصبغ دون غيرها، فالإشارة إلى شجرة الزيتون دون ذكرها إشارة بلاغية من حيث المعنى، وإشارة علمية كذلك لأن الخصائص العلمية التي تجعل هذه الشجرة هي شجرة الزيتون، هي خصائص ثابتة، وتخص النوع وهو الأساس التي تركز عليه العلوم الوراثية لتصنف الأنواع والأصناف على خصائصها الوراثية الثابتة، ولو اقتصرنا على المعنى اللغوي لبقيت الأمور مبهمة يسودها الشك، وقد تعصف بها التأويلات اللغوية إلى ما لا يمكن حصره بالعين. ونقف عند هذه الكلمة البسيطة، التي جاءت في هذه الآية، والتي لم تلفت نظر العلماء المسلمين طوال القرون العديدة التي مرت، هي كلمة "المصبغ" وكان على الباحثين المسلمين أن يأخذوا بحقيقة القرآن حتى لا ينزلقوا مع بعض مفاهيم البحث العلمي الصرفة.

عند هذه الكلمة وهي كلمة المصبغ؟ لأن هناك معجزة علمية لو أدركها العلماء من قبل لكان خيراً للبشرية جمعاء. فالقراءة اليسيرة للآية هي أن هذه الشجرة المباركة، أو شجرة الزيتون، تنبت بالدهن، وهي المادة الدسمة المسائلة التي نسميها الزيت، لكن الدهن يعني الزيت ومواد أخرى، كما نقول في علوم التغذية (Lipid)، فكان الموصف بالدهن وليس بالزيت، لأن الدهن يشمل الزيت وكل المواد الأخرى التي تمر أثناء العصر، وهنا نجد أن التفسير الذي جاء به العلماء في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، يجعل المصبغ يدخل مع الدهن، وهو ما لا يتفق مع العلوم، لأن الدهن فيه زيت ومصبغ، لكن المصبغ الذي جاء في الآية ليس المصبغ الذي يدخل في الدهن، ولذلك يظهر حسب تقديرنا أن هناك قصور في فهم الآية من الناحية العلمية، فلم ينتبه الباحثون إلى هذه الخاصية، الشيء الذي أدى إلى ضياع كبير في الميدان الغذائي والطبي، وهذا القصور أو الجهل جعلنا لا نستفيد من المصبغ الذي يفصل عن الزيت أثناء استخراجه، وهو شيء دافع للإنسان، كما قد اتضح في الميدان الطبي في السنوات الأخيرة. ولما تزال الأبحاث سارية حول الموضوع، لتقترب من الوحي فيستفيد الناس من المصبغ لأغراض طبية واستشفائية محضة.

